

صيد الخاطر

215 - - فصل : تذكر أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم .

من أراد أن يعلم حقيقة الرضى عن الله في أفعاله و أن يدري من أين ينشأ الرضى فليتكلم في أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإنه لما تكاملت معرفته بالخالق سبحانه رأى أن الخالق مالك و للمالك التصرف في مملوكه و رآه حكيمًا لا يصنع شيئًا عبثًا فسلم تسليم مملوك لحكيم فكانت العجائب تجري عليه و لا يوجد منه تغير و لا من الطبع تأفف .

و لا يقول بلسان الحال : لو كان كذا بل يثبت للأقدار ثبوت الجبل لعواصف الرياح . هذا سيد الرسل صلى الله عليه وسلم بعث إلى الخلق وحده و بالكفر قد ملأ الآفاق فجعل يفر من مكان إلى مكان و استتر في دار الخيزران و هم يضربونه إذا خرج و يدمون عقبه و شق السلى على ظهره و هو ساكت ساكن .

و يخرج كل موسم فيقول : من يؤويني من ينصرتني ؟ .

ثم خرج من مكة فلم يقدر على العود إلا في جواز كافر و لم يوجد من الطبع تأفف و لا من الباطن اعتراض .

إذ لو كان غيره لقال : يا رب أنت مالك الخلق و قارد على النصر فلم أذل ؟ .

كما قال عمر بن الخطاب يوم صلح الحديبية : ألسنا على الحق ؟ فلم نعطي الدنيا في ديننا ؟ . و لما قال هذا قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : [إنني عبد الله و لن يضيعني] فجمعت الكلمتان الأصليين اللذين ذكرناهما .

فقوله : إنني عبد الله إقرار بالملك و كأنه قال : أنا مملوك يفعل بي ما يشاء .

و قوله : لن يضيعني بيان حكمته و أنه لا يفعل شيئًا عبثًا .

ثم يبتلي بالجموع فيئد الحجر و خزائن السموات و الأرض .

و تقتل أصحابه و يشج وجهه و تكسر ربايعيته و يمثل بعمه و هو ساكت .

ثم يرزق ابنا و يسلب منه فيتعلل بالحسن و الحسين فيخبر بما سيجري عليهما .

و يسكن بالطبع إلى عائشة بنت أبي بكر فينغمص عيشه بقذفها .

و يبالغ في إظهار المعجزات فيقام في وجهه مسيلمة و العنسي و ابن صياد .

و يقيم ناموس الأمانة و الصدق فيقال : كذاب ساحر ثم يعلقه المرض كما يوعك رجلان و هو

ساكن ساكت فإن أخبر بحاله فليعلم الصبر .

ثم يشدد عليه الموت فيسلب روحه الشريفة و هو مضطجع في كساء ملبد و إزار غليظ و ليس

عندهم زيت يوقد به المصباح ليلتئذ .

هذا شيء ما قدر على الصبر عليه كما ينبغي نبي قلبه و لو ابتليت به الملائكة ما صبرت .
هذا آدم عليه السلام يباح له الجنة سوى شجرة فلا يقع ذباب حرصه إلا على العقر .
و نبينا صلى الله عليه و سلم يقول في المباح : [مالي و للدنيا !] .
و هذا نوح عليه السلام يضح مما لاقى فيصبح من كمد وجهه { لا تذر على الأرض من الكافرين
ديارا } و نبينا صلى الله عليه و سلم يقول : [اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون] .
هذا الكلیم موسى صلى الله عليه و سلم يستغيث عند عبادة قومه العجل على القدر قائلا { إن
هي إلا فتنتك } و يوجه إليه ملك الموت فيقلع عينه .
و عيسى صلى الله عليه و سلم يقول : [إن صرفت الموت عن أحد فاصرفه عني] .
و نبينا صلى الله عليه و سلم يخير بين البقاء و الموت فيختار الرحيل إلى الرفيق الأعلى .
هذا سليمان صلى الله عليه و سلم يقول : هب لي ملكا و نبينا صلى الله عليه و سلم يقول : [
اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا] .
هذا و الله فعل رجل عرف الوجود و الموجود فماتت أغراضه و سكنت اعتراضاته فصار هواه
فيما يجري